ومما ينبغي على المسلم أن يتعاهد نفسه به بين فترة وأخرى، موضوع صلاح القلب، وما ورد فيه، وأقوال السلف في ذلك، وحكاياتهم وأحوالهم وما إلى ذلك؛ لأن هذا من الأهمية بمكان، ومن أسباب نجاته، وفوزه، وسعادته في دنياه وأُخراه.

○○○

المبحث الثاني: معنى المحبة وأهميتها:

المحبة والحب: ضد البغض، وهو أمر قلبي معروف[1].

وهي مراتب[2]:

أولها: العلاقة. وسميت علاقة؛ لتعلُّق القلب بالمحبوب.

الثانية: الإرادة. وهي: ميل القلب إلى محبوبه وطلبُه له.

الثالثة: الصَّبابة. وهي: انصباب القلب إليه، بحيث لا يملكه صاحبه كانصباب الماء في الحَدُور.

الرابعة: الغرام. وهو: الحب اللازم للقلب الذي لا يفارقه بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه. ومنه سمي عذاب النار غراما؛ للزومه لأهله وعدم مفارقته لهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

---

(١) ينظر مادة «حبب» في: «تهذيب اللغة» (٤/ ٨)، و«لسان العرب» (١/ ٢٨٩).

(٢) ذكرها ابن القيم في عدد من كتبه، لعل من أوفاها «مدارج السالكين» (٣/٢٧) .

الخامسة: الوداد. وهو: صفو المحبة وخالصها ولبُّها، والوَدُود من أسماء الرب - تعالى -، وفيه قولان: **أحدهما**: أنه المودود. قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: ﴿**ٱلْوَدُودُ**﴾ [البروج: ١٤]: الحبيب[1]. **والثاني**: أنه الوادُّ لعباده، أي المحب لهم. فُسِّر بالفاعل والمفعول؛ فهو سبحانه يُحِب ويُحَب.

السادسة: الشغف. يقال شُغِف بكذا، أي: وصل حبُّه إلى شغاف قلبه، وهو داخله، كما قال النسوة عن امرأة العزيز: ﴿**قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**﴾ [يوسف: ٣٠]، يعني تغلغل حُبُّهُ داخل قلبها.

السابعة: العشق. وهو: الحُبُّ المفرط الذي يخاف على صاحبه منه.

الثامنة: التَّتَيُّم. وهو: التعبُّد والتذلل؛ يقال: تيَّمه الحب، أي: ذلَّلَه وعبَّدَه، وتيم الله: عبد الله.

التاسعة: التعبد. وهو فوق التَّتَيُّم؛ فإن العبد هو الذي قد ملك المحبوب رِقَّه، فلم يبق له شيء من نفسه البتة، بل كله عبد لمحبوبه ظاهرا وباطنا. وهذا هو حقيقة العبودية، كما قال ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ** ...»[1].

---

(١) صحيح البخاري (كتاب التوحيد، باب: ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ**﴾ [هود: ٧]).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٨٦ و٦٤٣٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

العاشرة: مرتبة الخُلة. وهي المحبة التي تخلَّلَت رُوح المُحِب وقلبه، حتى لم يبقَ فيه موضع لغير المحبوب، كما قيل:

قد تخلَّلَت مسلكَ الرُّوح مني ... ولذا سُمِّي الخليلُ خليلا

وهذه المرتبة انفرد بها الخليلان إبراهيم ومحمد - صلى الله عليهما وسلم -. قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال ﷺ: «**فَإِنَّ اللهِ - تَعَالَى - قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**»(١)، وقال ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»(٢).

والمراد في هذا الباب: محبة العبودية المقترنة بالذل والتعظيم، والمستلزمة للطاعة والقبول.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وخاصية التعبد: الحب مع الخضوع والذل للمحبوب، فمن أحب شيئا وخضع له فقد تعبد قلبُه له»(١).

والمحبة هي المحرِّكة، فلا يعمل المرء إلا ما يحبه إما لذاته، أو لغيره كالدواء.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٣٢)، من حديث جندب بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٨٣)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(١) «الجواب الكافي» ص١٢٨.

وهي ركن العبادة:

وعبـــــادة الـــــرحمن غايـــــةُ حبِّـــــه
مـــــع ذلِّ عابـــــدِه همـــــا قُطْبـــــانِ
وعلـــــيهما فلَـــــك العبـــــادة دائِـــــرٌ
مـــــا دار حتَّـــــى قامـــــت القُطْبـــــانِ[1]

قال الله عن المشركين: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨]، وقال: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، وهذه التسوية وهذا العدل؛ إنما هو في المحبة لا في الخلق والرزق والربوبية، فهم يقولون: الله الذي خلقنا ورزقنا.

وفي نهاية هذا المبحث أُحِبُّ أن أشير إلى قضية: وهي أن الإسلام دين الحُب والمحبة، ونحن أهل الحبِّ والمحبَّة، ولكن شُوِّهَتْ هذه الصورة بسبب هذا الغُثاء من المسلسلات والأفلام التي شوَّهت صورة الحب، وأظهرت الفُحْش بأنه هو الحُب، وكيف أن المرأة تُقيم علاقة مع رجل أجنبي، هذا هو الحب!.

وعلَّموا الفتاة كيف تتمَرَّد على أهلها من أجل عشيقها باسم الحب، فإذا أنكر ذلك الصالحون، قالوا: أنتم أهل الجفاء والشِّدة، تحاربون الحُب، ولا تعرفونه، وهذا خطأ وتلبيس، بل المؤمنون هم أعرف الناس بالحُب، لكنَّه

(١) «الكافية الشافية» (٥١٤-٥١٥).

الحبُّ الحقيقي، فالمؤمن يُحِب الله، ويحب رسوله، ويحب أباه وأمه، ويحب زوجه، ويحب أولاده، ويحب إخوانه، وهكذا، هو يعيش في دائرة الحب.

○○○

المبحث الثالث: درجات محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

محبة الله - تعالى - على درجتين[1]:

الأولى: درجة المقتصدين. وهي فرض لازم.

وهي المحبة التي توجب للعبد محبةَ ما يُحِبُّه الله من الواجبات، وكراهة ما يكرهه من المحرمات. وأنشد بعضُهم:

تعصي الإلهَ وأنتَ تزعُمُ حبَّهُ
هذا لعَمْرِي في القياسِ شَنِيعُ
لو كان حبُّك صادقًا لأطعْتَه
إن المُحِبَّ لمن يحبُّ مُطيعُ[1]

ومتى أخل العبد ببعض الواجبات، أو ارتكب بعض المحرمات فمحبته لربه غير تامة، فالواجب عليه المبادرة بالتوبة، والاجتهاد في تكميل المحبة.

الثانية: درجة السابقين المقربين:

---

(١) ينظر: «اختيار الأولى» لابن رجب ص١٢٦.

(١) نسبه البيهقي لأبي العتاهية، كما في «شعب الإيمان» (٢٤٩)، بنحوه.

وهي أن يمتلئ القلب بمحبة الله – تعالى – حتى توجب له محبة النوافل، والاجتهاد فيها، وكراهة المكروهات، والانكفاف عنها، والرضا بالأقضية والأقدار المؤلمة للنفوس لصدورها عن المحبوب. كما قال عامر بن قيس: أحببت الله حُبًّا هوَّن عليَّ كل مصيبة، ورضَّاني بكل بَلِية، فلا أُبالي – مع حبي إياه – على ما أصبحت عليه، ولا على ما أمسيت[1].

إذن، محبة الله – تعالى – منها ما هو فرض لازم، ومنها ما هو كمال ونَفْل.

○○○

المبحث الرابع: علامة المحبة:

أجلى علامات محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اثنتان:

أولا: اتباع السنة النبوية:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادَّعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله»[1].

ثانيا: محبة القرآن كلامِ الله:

---

(١) «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» لابن رجب الحنبلي ص ١٢٧.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢).

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلْيَقْرَأْ فِي الْمُصْحَفِ**»(١).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أراد أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن؛ فإن أحب القرآن فهو يحب الله، فإنما القرآن كلام الله جَلَّ جَلَالُهُ»(٢).

وقال ابن عُيينة: لا تبلغون ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله - عز وجل -، ومن أحبَّ القرآن فقد أحب الله - عز وجل -(١).

○○○

المبحث الخامس: الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها:

قد يقول قائل: قد اشتاقت النفوس إلى نيْل هذه الرتبة الشريفة، فهل من سبيل يوصل إلى ذلك؟

الجواب: نعم، لكن قبل ذلك ينبغي أن يُعلَم أن المحبة لها صورتان:

الأولى: أن يحب العبدُ ربَّه، فاللهُ هو المحبوب.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٠٩) وقال: غريب، تفرد به الحر بن مالك، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٢٧) وقال: هكذا رُوي بهذا الإسناد مرفوعا، وهو منكر، تفرد به أبو سهل الحر بن مالك عن شعبة. وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٣٤٢).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» (١٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٥٧).

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٧٧)، والبيهقي في «الشعب» (٤٠٣).

الثانية: أن يحب اللهُ العبدَ، فالله هو المُحِب.

وكلاهما ثابت بنص القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، فتثبت لله صفة المحبة على القاعدة السلفية.

وعلى العبد أن يسعى في الصورتين جميعا: بأن يملأ قلبَه بمحبة ربه، ويأتي بآثار المحبة ولوازمها من الطاعة والقبول. وعليه - أيضا - أن يسعى في تحصيل محبة الله له، وهذه أعز المطالب، وأشرف المواهب.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كفى بالله مُحِبًّا وبالقرآن مُؤْنِسًا وبالموت واعظا، اتخذ الله صاحبا، ودع الناس جانبا»(١).

وذكر ابن القيم في «المدارج» عشرة أسباب جالبة لمحبة الله للعبد، وهي:

أولا: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه.

ثانيا: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض. كما قال الله - تعالى - في الحديث القدسي: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**»(٢).

ثالثا: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

---

(١) «شرح مشكاة المصابيح» للطيبي (١٠/ ٣٢٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

رابعا: إيثار محاب الله على محاب النفس عند غلبات الهوى. وكثيرا ما يقع الإنسان في حال تتجاذبه محبة الله ومحبة نفسه وهواه، فلينظر مع أيها يميل؟.

خامسا: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، وتقلبه في رياض هذه المعرفة، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

سادسا: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته.

سابعا: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكلِّيَّتِه بين يدي الله - تعالى -.

ثامنا: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

تاسعا: مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر.

عاشرا: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله - عز و جل -.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المُحِبُّون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب. وملاك ذلك كله أمران:

استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة، وبالله التوفيق[1].

أسأل الله - جلَّ وعلَا - أن يعمر قلوبنا بمحبته، وأن يشرِّفنا بمحبة الله لنا.

○○○

(١) ينظر: «مدارج السالكين» (٣/١٧).

المبحث السادس: أقسام المحبة، وأحكامها:

تنقسم المحبة إلى قسمين:

القسم الأول: محبة عِبادة. وهي التي توجب التذلُّلَ والتعظيم في القلب، وتقتضي امتثال الأمر واجتناب النهي. وهذه خاصة بالله، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة؛ فهو مشرك شركا أكبر. قال تعالى: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ**﴾ [البقرة: ١٦٥].

ويعبر العلماء عنها بـ«المحبة الخاصة».

القسم الثاني: محبة ليست بعبادة في ذاتها.

وهذه أنواع:

١- المحبة لله وفي الله، وذلك بأن يكون الجالِبُ لها محبةَ الله، أي: كون الشيء محبوبا لله - تعالى - من أشخاص: كالأنبياء، والصحابة، والصالحين، أو أعمال: كالصلاة، والذكر. وهذا النوع تابع للقسم الأول الذي هو محبة الله، كما قيل: من تمام محبة المحبوب: محبة ما يحِبُّه المحبوب.

ففرْقٌ بين محبة الله أصلا، والمحبة له تبعا، والمحبة معه شركا.

وفرْقٌ بين محبة الأخ في الله المبنية على طاعة الله، وبين الإعجاب المبني على تعلق القلب بذات المحبوب والفتنة بشكله وصورته، وهو ما يسمى بالعِشق والتعلق الذي يهوي بصاحبه في منحدرات سحيقة إن لم يتدارك نفسه، ويقطع

هذه العلاقة؛ لأنه إن استرسل معها تمكَّنت منه وصعُب عليه أن يفارقها، وأصبح يعيش في حسرة.

وعلى المرء أن يضبط عواطفه ويملِكَها، ويحذر من إرسالها فتملكه وتتحكم فيه.

٢- محبة إشفاق ورحمة. وذلك كمحبة الولد، والأطفال، والضعفاء، والمرضى.

٣- محبة إجلال وتعظيم يناسب المخلوقَ، لا تعظيم عبادة؛ كمحبة الوالد، والمُعَلِّم، والكبير من أهل الخير.

٤- محبة طبيعية؛ كمحبة الطعام، والشراب، والملبَس، والمَرْكَب، والمسكن، والصديق.

وفي الآية التي ذكرها الشيخ – آية المحبوبات الثمانية -: ﴿**قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ** ...﴾ [التوبة: ٢٤]، لم يذم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ محبة هذه الأشياء، وإنما ذَمَّ أن تُقَدَّم وتكون أحب إلى العبد من الله ورسوله وجهاد في سبيله.

وأشرف هذه الأنواع النوع الأول، والبقية من قسم المباح، إلا إذا اقترن بها ما يقتضي التعبُّد فتصير بهذا عبادة؛ فالإنسان يحِبُّ والده محبة إجلال وتعظيم، وإذا اقترن بها أن يتعبد لله بهذا الحب؛ من أجل أن يقوم ببر والده، صارت عبادة، وكذلك يحب ولده محبة شفقة، وإذا اقترن بها ما يقتضي أن يقوم بأمر الله بإصلاح هذا الولد، صارت عبادة.

وكذلك المحبة الطبيعية؛ كالأكل والشُّرب، إذا قصد بها الاستعانة على العبادة صارت عبادة. قال النبي ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ**»(١).

وفي الحديث: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الحَلْوَاءَ وَالعَسَلَ»(٢)، و«كانَ أَحَبُّ الثِّيابِ إِلَيْهِ ﷺ القَمِيْصَ»(١).

وهذا المبحث هو لُبُّ الباب وخلاصته، فينبغي أن نُحْكِمهُ ونعتني بفهمه؛ لأن به تنضبط مسائلُ المحبة في باب التوحيد: متى تكون المحبة شركًا؟، وكيف تكون عبادة؟، ومتى تكون مباحة؟. فإذا ضبطت أصول هذه المسألة؛ سهُلَ تطبيق الفروع.

فائدة:

قد يجتمع في قلب المؤمن المحبة الفطرية الطبيعية والبُغض الديني؛ كما كان النبي ﷺ يحب أبا طالب لقرابَتِه ونُصْرَتِه له، ويبغضه لكفره. والمسلم قد يحب

---

(١) **حسن صحيح**: أخرجه النسائي (٣٩٣٩)، وأحمد (١٢٢٩٣) وفي مواضع أخرى، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٤٣١) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٤٧٤)، من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٠٢٥)، والترمذي (١٧٦٢)، من حديث أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصححه الألباني.

زوجته اليهودية؛ لكونها زوجته وشريكة حياته، ويبغضها لكفرها، أو يحب أَمَةُ الكافرة من وجه ويبغضها من وجه.

فالحب والبُغض إذا كانا مُنصبَّينِ على جهة واحدة لم يمكن اجتماعهما؛ لأنهما ضدان، لكن إذا انفكَّتِ الجهة أمكن الاجتماع.

○○○

المبحث السابع: الشرك في المحبة:

المحبة المحرمة لها صور:

أولا: محبة العبودية المستلزمة للإجلال والتعظيم والذل والخضوع.

حكمها: لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومتى صرَف العبدُ هذه المحبةَ لغير الله، فقد أشرك به الشرك الأكبر.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل الإشراك العملي باللَّه الإشراك في المحبة»(١).

ثانيا: محبة المعصية محبةً تستقر في القلب، كمن يحب الزنا.

حكمها: هذه معصية لا تصل إلى الشرك. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

---

(١) «قاعدة في المحبة» ص ٦٩.

أما إن كانت هذه المحبة لا تستقر في القلب بمعنى أن صاحبها ينازعها ويجاهد نفسه في تركها، وفي تحقيق محبة الله، فهو على خير وجهاد، لا على إثم ونفاق. وقد أخبر النبي ﷺ أن النار حفت بالشهوات التي تهواها النفس وتميل إليها.

وَقد كتبُوا إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسألونه عن هذه المسالة أيهما أفضل: رجل لم تخطر له الشهوات ولم تمر بباله، أو رجل نازعته إليها نفسه فترَكها لله؟ فكتب عمر: أن الذي تشتهي نفسه المعاصي ويتركها لله - عز وجل - من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم[1].

○○○

المبحث الثامن: محبة الرسول ﷺ بين الغلو والجفاء:

محبة الرسول ﷺ تعني: أن يميل قلبُ المسلم إلى رسول الله ﷺ ميلا يتجلى فيه إيثاره ﷺ على كل محبوب من نفس ووالد وولد، لما خصَّه اللهُ من كريم الخصال وعظيم الشمائل، وما أجراه الله على يديه من صنوف الخير والبركات .

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٨)، و«الدر المنثور» (١٣/ ٥٣٨).